الافتتاحية

العلاّمة الطباطبائي

يُعدّ المرحوم العلامة الطباطبائي من الظواهر النادرة في حوزاتنا العلمية على مر القرون. إنه ظاهرة نادرة، للحق والإنصاف... إنّ السمات كافة التي تشكّل شخصية هذا الرجل هي من الفضائل الممتازة للإنسان، وكل سمة منها فضيلة من الفضائل الإنسانية.

قضيّة ساخنة

تأسيس مقرات فكرية ذو طابع هجومي

كان ثمة غزو بالمعنى الحقيقي للكلمة [أيّام العلامة الطباطبائي]، سواء بالأفكار الأيديولوجية والمسلكية المستوردة كالماركسية، أو بإثارة الشبهات، الإثارة التي لم تكن على نحو أن يريدوا تقديم مدرسة فكرية بل كانوا يخلقون الشُّبهة [فقط]، وهو الأمر نفسه الذي شمَّر المرحوم الشيخ المطهري (رض) ساعد الهمة للتصدي له، وغالبية كتبه للتصدي للشبهات المطروحة حينذاك. استطاع المرحوم السيد الطباطبائي (رض) في خضم هذه الأحداث تأسيس مقر فكري وطيد بتشكيلات هجومية، أي من كانوا يتعرَّفون إلى أفكاره لم يكن موقفهم في مواجهة الماركسية ومواجهة مختلف الأفكار موقفاً دفاعياً إنما هجومي، ومن نماذج ذلك كتب الشيخ مطهري (رض) هذه التي ترونها.. وفي رأيي هذا هو ما يجب أن نتعلَّمه من السيد الطباطبائي: تأسيس مقرات فكرية تملأ الثغرات وتمتلك جانباً هجومياً لا موقفاً انفعالياً ودفاعياً.

طلب القائد

علينا جميعاً المضي خلف هاتين الخاصيَّتين

كان إنساناً بارزاً واستثنائياً، وكان بحق تقيّاً ورعاً. غير أنَّ سمتين من سمات المرحوم السيد الطباطبائي تثيران اهتمامي بشدة وتجذباننني نحوهما. إحداهما الجهاد الفكري الذي قلّ نظيره للسيد الطباطبائي مقابل غزو الأفكار المستوردة والأجنبية، وفي خضم الغزو بالمعنى الواقعي للكلمة. سمته الثانية التي تعدّ هي الأخرى سمة بارزة ومهمة جداً - في رأيي - أنَّه لم يكتفِ في حقل المعارف التوحيدية والمفاهيم العَرْشيَّة التي كان قد توصَّل إليها في الفكر بمجرد التوليد الفكري، فقد تحقَّق في نَفْسه الشريفة وقلبه الشريف بتلك الحقائق والمعارف، وعَمِل بما كان يعلم. في رأيي، علينا أن نمضي خلف هاتين الخاصيَّتين اللتين ذكرتهما: إحداهما مسألة سد الثغرات، والثانية التحقُّق بالمعارف التي يعلمها الإنسان - «وَأَفْئِدَةً العارِفِينَ مِنكَ فازِعَة»، فمعرفة العرفان تختلف عن «وَأَفْئِدَةً العارِفِينَ مِنكَ فازِعَة»، فهذان مبحثان مختلفان - علينا جميعاً المضي خلف هاتين الخاصيَّتين، وعلى كل من يسير في هذا الطريق أن يمضي خلفهما.

تبيان

التنوّع المعرفي والعمق الفكري

إنّ السمات كافة التي تشكّل شخصية العلاّمة الطباطبائي هي من الفضائل الممتازة للإنسان. قد دوّنت بعض هذه السمات وهي مثلاً: العلم، والتقوى والورع، والملَكات الأخلاقية، والذوق والفن، والصفاء والعشرة - الوفاء والصداقة والعشرة وما إلى ذلك - وغيرها كثير من السمات التي لم أرَ ضرورةً الآن لتعدادها هنا. مجموعة هذه السمات تشكّل شخصية هذا الرجل العظيم، وكل سمة منها فضيلة من الفضائل الإنسانية.

التنوّع المعرفي

[كذلك] دونت بعض الجوانب من عِلم هذا الجليل لأذكرها كي يجري الاهتمام بها. إحداها مسألة التنوع المعرفي الواسع لهذا الرجل العظيم، أي إنصافاً، كان سماحته نادراً في التنوع المعرفي. إنه فقيه وأصولي وفيلسوف وذو غَوْر شديد في العرفان النظري وعالم في «الهيئة» والرياضيات، وعالم بارز في التفسير وعلوم القرآن - إنصافاً إنه منقطع النظير في هذا المجال - وشاعر وأديب، وهو ماهر ومؤثر في النسب وعلم الأنساب.

العمق العلميّ والفكري

جانب آخر: عمقه العلمي والفكري. لدى سماحته عمق [كبير] في العلوم التي نعرفها الآن ولدينا اطلاع عليها. أولاً إنه صاحب مبنى في «الأصول». طبعاً لم أر أثراً منه في الفقه، لكنه حقاً صاحب مبنى في الأصول، و[كتاب] حاشية الكفاية لسماحته يثبت [ذلك]. إنه في الفلسفة فيلسوف مبدع، فهو يقدم نظاماً فلسفياً جديداً يتجلى في [كتاب] أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ثم هذين الكتابين اللذين ألفهما ونشرهما أخيراً [في آخر حياته]: «البداية» و«النهاية». في التفسير، إنه مفسّر مذهل في رأيي. أي إذا نظر أحد إلى تفسير الميزان، يُدرك أنه تفسيرٌ مذهل حقاً في كثرة المضامين وتنوعها وعمقها، وهو ما سوف أشير إليه لاحقاً.

انتشار آثاره في حياته

سمته الأخرى في ما يخص مسألة العلم أنَّ آثاره انتشرت في زمن حياته، وشوهدت بركات آثاره في زمن حياته. المرحوم السيد الطباطبائي بنفسه لم يكن موضع اهتمام إلى ذلك الحد حينما كان الميزان موضع بحث، أو افترضوا حينما كانت كتبه الحِكْميَّة مطروحة، أي لم يكن مطلقاً من أهل التظاهر، لكنَّ كتبه كانت في الأساس مدار بحث في كل مكان، ونُشر تفسيره الميزان، وكتابه أصول الفلسفة، وكتاباه «البداية» و«النهاية»، وكتابه الشيعة في الإسلام، وكتابه القرآن في الإسلام، والرسائل التوحيديَّة المتعدِّدة وغيرها، في زمن حياته. بناء عليه للجانب العلمي للمرحوم السيد الطباطبائي سمة فريدة ذكرناها.

#كلمات مفتاحيّة: #العلامة_الطباطبائي #تفسير_الميزان #أصول_الفلسفة #الإمام_الخميني #الشهيد_مطهري #الشهيد_بهشتي

الجمل الذهبية

- يُعدّ المرحوم العلامة الطباطبائي من الظواهر النادرة في حوزاتنا العلمية على مر القرون.
- إن التربية لدى المرحوم السيد الطباطبائي أمرٌ عجيب. هذا من فنون أيّ عالِمٍ.
- لا أعرف أيّ شخص آخر لديه تلاميذ بعدد الذين استفادوا من درس المرحوم السيد الطباطبائي.
- كان استثنائياً في ما يتعلق بسمة التقوى والورع والتعبُّد وولائه لأهل البيت (ع).
- إنَّ المرحوم السيد الطباطبائي بالمعنى الحقيقي للكلمة مصداق هذه الآية الشريفة: {إِلَيهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصّالِحُ يَرفَعُه} (فاطر، ١٠). تحقَّق ذلك {الكَلِمُ الطَيِّبُ} في وجوده بالمعنى الحقيقي للكلمة.
- لقد ربَّى نفسه واستطاع أن يدفع ذاته إلى الأعلى خلال هذه الدرجات الإنسانية والمعرفية الرفيعة وأن يرفعها.

نظام فكري

فنّ تربية التلاميذ!

جانب علمي آخر لهذا الإنسان الجليل هو مسألة تربية التلاميذ. إن التربية لدى المرحوم السيد الطباطبائي أمرٌ عجيب. لدينا أشخاص من العلماء المربّين للتلاميذ ولديهم تلاميذ كُثُر، والمرحوم السيد الطباطبائي أحد هؤلاء. من بين فلاسفة المرحلة الأخيرة للفلسفة في إيران... لا أحد منهم لديه تلميذ بارزٌ ومشهورٌ وفيلسوفٌ بقدر المرحوم السيد الطباطبائي. تربية تلميذ فيلسوف مثل الشهيد مطهري، ومثل الشهيد بهشتي، ومثل المرحوم الشيخ المصباح وآخرين، ومثل بعض الفضلاء اليوم، أيْ لا أعرف أيّ شخص آخر لديه تلاميذ بعدد الذين استفادوا من درس المرحوم السيد الطباطبائي. طبعاً هذه النقطة لافتة أيضاً، وهي أن غالبية تلاميذه - أي كثيرين منهم - كانوا ممن أدّوا دوراً في الثورة الإسلامية... وعدد من شهداء الثورة الإسلامية المشهورين هم من تلاميذه.

تذكير

ذو معشر حسن ولسان حلو وعذب الكلام

إنَّ المرحوم السيد الطباطبائي، رغم هذه الخصائص المعنوية والعلمية والسلوكية كلها والأمور التي يعرفها الجميع تقريباً عنه في هذه الأزمنة، كان من ناحية التعامل الشخصي ومع الأصدقاء شخصاً محبوباً ولطيفاً. كان ذا معشر حسن، وذا لسان حلو، وعذب الكلام، وحسن المنطق. كان في اجتماعات الأصدقاء لا يتّسم بحالةُ الصمت تلك التي كان يراها المرء منه في المجالس العامة ومجالس البحث والدراسة وما شابه، بل كان حميماً وأخّاذاً ومحبوباً وعذب الكلام. حينما كان يذكر مسألة، كانت مزوَّقة وبرّاقة وبالتفصيل.

درس عملي

تحقَّق «الكَلِمُ الطَيِّبُ» في وجوده بالمعنى الحقيقي للكلمة

كان استثنائياً في ما يتعلق بسمة التقوى والورع والتعبُّد وولائه لأهل البيت (ع)، وخصائص من هذا القبيل. إنَّ المرحوم السيد الطباطبائي بالمعنى الحقيقي للكلمة مصداق هذه الآية الشريفة: {إِلَيهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصّالِحُ يَرفَعُه} (فاطر، ١٠). تحقَّق ذلك {الكَلِمُ الطَيِّبُ} في وجوده بالمعنى الحقيقي للكلمة. هذه هي الخصائص الأخلاقية المعروفة عنه: التواضع الاستثنائي، وفقدان الأهواء، وكلها نابعة من ذلك المعنى. فحِلْمه وتواضعه نابعان من تحقُّق تلك المعاني والمعارف السامية في نَفْسه هو ذاته. لقد ربَّى نفسه واستطاع أن يدفع ذاته إلى الأعلى خلال هذه الدرجات الإنسانية والمعرفية الرفيعة وأن يرفعها. لهذا كان يبدو بين ظهراني الناس لكنه مع الله. كان الإنسان يشعر بحق في التعامل معه كأنَّه لم يكن يرى لنفسه أي شخصية. كان حليماً وتعامله ليناً. كان يتعامل بالحلم والصبر حتى مع الذين يُحاجُّونه ويُعادونه، ويصفح عنهم. كان في منتهى التواضع، وقد كان تواضعه مثار استغراب أحياناً.

تعداد | عدّد قائد الثورة الإسلامية

الخصائص العلميّة للعلامة الطباطبائي:

- عالم في «الهيئة» والرياضيات
- البركات الوافر لآثاره العلميّة
- عالم بارز في التفسير وعلوم القرآن
- ذو غَوْر شديد في العرفان النظري
- صاحب ذوق، ومن أهل الشعر والأدب
- فقيه أصولي وصاحب مبنى في الأصول
- تربيته للتلاميذ لا نظير لها في الفلسفة
- العمق الفكري والعلمي
- ماهر في علم الأنساب

حادثة تاريخية

شجرة عائلتنا أعدّها السيّد الطباطبائي

من جملة الأمور التي يمكن أن يراها المرء إلى جانب فلسفة السيد الطباطبائي أو عرفانه هو علم الأنساب. لدى سماحته جدول يعرّف عائلة القاضي الطباطبائي. إنه جدول تاريخي، وهو - في رأيي - أثر فني من الدرجة الأولى، ولقد طُبعَ وبات متاحاً للناس. يكتب والدنا المرحوم إلى السيد الطباطبائي إذ كان صديقاً له منذ النجف، وقد حدّثني والدي بنفسه عن ذلك: اسألوا فلاناً - رجل مشهور في قم - أن يعدّ شجرة عائلتنا وحصّلوها وأرسلوها إلينا، فيكتب السيد الطباطبائي في الجواب: إنني أعرف بالمقدار نفسه أو أكثر منه. إحدى هاتين العبارتين ولا أتذكّر [أيّهما] الآن. أعدّ سماحته شجرة عائلتنا وأرسلها. أي أن شجرة العائلة التي لدينا الآن من إعداد السيد الطباطبائي.

دعاء

نأمل أن يرفع الله المتعالي درجاته إن شاء الله، وأن يجعلنا من العارفين بقدره. بحمد الله، إنَّ البركات الإلهية في ما يتعلق به هي كذلك، فالسيد الطباطبائي هو اليوم معروف أكثر بدرجات من زمن حياته... وسيُعرف أيضاً أكثر من هذا إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته